مجلة الرائد

العدد : ٢٣٦ الموافق في ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٥ ميلادي

عنوان المقال : في صحبة الرسول –١–	الكاتب : أ. عصام العطار

أعترف لكم أنني أحبّ رسول اللّه ﷺ . طبعاً كلّ مسلم يقول ذلك ؛ ولكنني أحبه محبة حقيقية عامرة تطغى على محبّتي لكلّ مَنْ سواه من خَلْق اللّه ، وأحبُّ ما حباه اللّه به من أخلاق وصفات لو تَخَلّق بها المسلمون واتصفوا بها الآن لصلح حالهم ، وتوثقت روابطهم ، وسعدوا فيما بينهم ، وكانوا مثالاً جميلاً حميداً مؤثراً في عالمهم وعصرهم ..

محبةُ الرسول - على مستواها الإنساني - لازمة من لوازم أخلاقه وصفاته ، فمن أحبّ أخلاقه وصفاته أحبه ، ومن ادّعى حبَّه ، وهو لا يحِبُّ هذه الأخلاق والصفات ، أو لا يعرفها ، أو لا يتخلّق - أو يحاول التخلّق - بها ، أو بما يستطيعه منها ، فمحبّتُه زائفة أو ناقصة .

وكلُّ خُلُق من أخلاق الرسول ﷺ هو بمفرده خُلُق عظيم رائع.

وكلُّ صفة من صفات الرسول ﷺ هي بمفردها عظيمة رائعة.

أمّا عندما تقترن أخلاقُه وتقترن صفاتُه بعضُها ببعض ، وتتكامل فيما بينها لِتُشَكّل صورتَه الكاملة ، فثمّة العظمةُ والروعة في قمّتها العُليا ، وثمّة الإنسان الرسول الجدير بقول اللّه عزَّ وجلَّ : { **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } [القلم :٤]،

وثَمّة الأسوةُ الحسنة ، والقدوةُ الباهرة الخالدة ، لمن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر ، على اختلاف الأمكنة ، وامتداد العصور

{ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** } [الأحزاب : ٢١]

وقد تعودت أن أعيش الحينَ بعد الحين مع رسول اللّه ﷺ ، استمع إلى حديثه ، وأرافقه في سيرته ، وأتأمّل في مناقبه ، فأجد من أُنْس القلب ، وزادِ الفكر ، وجَلاءِ الهمِّ والحزن ، وتجدُّدِ النشاط والعزم ، ما يَجِلُّ عن الوصف ، وأتعلّم منه وأتعلّم ، وأنهل من كرمه وأنهل ، وأسعد بصحبته وأسعد ، وتزداد رابطتي الشعورية والفكرية به وتزداد ، وأكاد أحسّ كأنّ الزمان قد امَّحَى بيني وبينه ، وكأنّني واحد من أصحابه ، أو واحد من إخوانه ، وتتفَجّر ينابيع المحبة والنَّشوة والشكر والعرفان في صدري ، وأذوق بالأخوّة والصحبة والمحبّة من حلاوة الإيمان ما لا يذوقُه إلاّ من كان اللّـهُ ورسولُه - حقّاً وصدقاً - أحبَّ إليه ممّا سواهما ، وعرف الحبَّ الخالص في اللّه ، وكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللّه تعالى منه كما يكره أن يُقْذَف في النار.

والتعرُّف إلى أخلاق الرسول ﷺ وصفاته ، والتَأسّي به فيها ، طاعة لله عزَّ وجلَّ ، وضرورة لبناء

عنوان المقال : في صحبة الرسول –١–	الكاتب : أ. عصام العطار

الشخصية الإسلامية والإنسانية المحبوبة المؤثّرة الخيّرة ، والمجتمع الإسلاميّ والإنسانيّ المتحاب المتكامل الخيّر.

وسأحاول في السطور المقبلة ، بمقدار ما تسمح به المساحة المقدّرة لمقال من المقالات في الرائد ، أن أسير مع القارئ خطوات قليلة مع رسول اللّه ﷺ ، وأن نظفر بلمحات خاطفة من حياته وصفاته ، ولن أقف بشخصي وحديثي ورأيي بينه وبين الرؤية المباشرة والانطباع المباشر .. ما قَدَرْتُ على ذلك.

من أول ما يلقانا في صحبة رسول اللّه ﷺ ونحن مقبلون عليه وجهُهُ الطّلق البشوش ، وابتسامتُه الصادقة المؤنسة :

فقد قال صاحبه عبد اللّه بن الحارث بن جَزْءٍ ﷺ : « **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** » رواه الترمذي

وقال صاحبه جرير بن عبد اللّه ﷺ : « **مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَمَا رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ** » وفي رواية : « **إِلاَّ ضَحِكَ** » رواه البخاري ومسلم

وكان رسول اللّه ﷺ لا يكتفي بطلاقة الوجه والابتسام في شخصه ، وإنما كان يحبّ أيضاً أن تَشيع الطلاقة ، والبَسْمة الصادقة الحلوة ، التي تأنس بها القلوب ، وتنمو بها المحبّة ، بين أصحابه ، وفي تضاعيف مجتمعه ، فعن أبي ذرّ ﷺ قال : قال لي رسول اللّه ﷺ : « **لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيْقٍ** » (أي ضاحك مستبشر بشوش) رواه مسلم.

وكان رسول اللّه ﷺ ، وهو يحمل أعظم رسالة عرفها التاريخ ، ويواجه أعظم تحدّيات عرفها البشر ، ويكابد ويجاهد أعظم المكابدة والجهاد ، لا يترك فُرَصاً لمداعبة أصحابه وممازحتهم ، على حسب طباعهم وأحوالهم ، تطييباً لبعض النفوس ، ورفعاً لبعض القيود ، وإشاعةً لشيء من المتعة والسرور ، بما يوثّق الصلات ويُجَدِّد النشاط ، ويُعين على الواجبات

عن أبي هريرة ﷺ قال : قالوا (أي : بعض الصحابة) : **يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا . قَالَ :** « **نَعَمْ ، غَيْرَ أَنِّي لا أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا** » [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وقد روت لنا كتب السيرة والحديث بعض هذه المداعبات ، فمن ذلك ما رُوِيَ عن الحسن قال : أتت عجوز إلى النبيّ ﷺ فقالت : يا رسول اللّه ! أدْعُ اللّه أن يُدخِلني الجنّة . فقال : « **يا أمَّ فُلان إنَّ الجنّةَ لا تَدْخُلُها عجوز** » ، فولّتْ تبكي . فقال : « **أخبروها أنها لا تدخلُها وهي عجوز** » (أيْ : أنَّ اللّه يَرُدُّ عليها شبابَها فتدخُلُها وهي

صبيّة في مُقْتَبَل العمر)

وعَنْ أَنَسِ بن مَالِك أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا ، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ هَدِيَّةً مِنَ البَادِيَةِ ، فَيُجَهِّزُهُ النَّبِيّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ** »

وَكَانَ ﷺ يُحِبُّهُ ، وَكَانَ رَجُلاً دَمِيمًا ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لا يُبْصِرُهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ أَرْسِلْنِي . فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَجَعَلَ لا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ ؟** » فَقَالَ زَاهِر : يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ** » أَوْ قَالَ : « **أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ** » . مختصر الشمائل المحمدية للشيخ ناصر الدين الألباني.

وكان رسول اللّه ﷺ يعيش مع أصحابه كواحد منهم ، ويحذّرُهم أن يرفعوه فوق منزلته ، وأن يبالغوا في إطرائه و كان يقول :

« **أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي ، إِنَّمَا أَنَا عَبْد** »

ويقول :

« **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى المسيحَ بْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْد ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** »

ورُوي أنه ﷺ كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة . فقال رجل : يا رسول اللّه عليَّ ذبحُها ، وقال آخر : عليَّ سلخُها ، وقال آخر : عليَّ طبخها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **وعَلَيَّ جَمْع الحطب** » . فقالوا : يا رسول اللّه نَكْفيكَ العمل . قال : « **علمتُ أنكم تكفونني ، ولكنْ أكره أن أتميّز عليكم ، وإنَّ اللّه ﷻ يكره من عبده أن يراه متميِّزاً بين أصحابه** »

هكذا كان النبيّ ﷺ بين أصحابه ، فكيف كان في بيته ؟ فما أكثرَ ما يختلف سلوك الناس في بيوتهم عن سلوكهم في مجتمعاتهم!

جوابُ ذلك عند زوجه ، وأعلمِ الناس به في بيته ، السيدة عائشة رضي اللّه عنها ، فقد سُئلت :

- ما كان النبيّ ﷺ يصنع في بيته ؟

قالت : كان يكون في مِهْنَةِ أهله (أيْ : في خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة . رواه البخاري

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٦ الموافق في ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٥ ميلادي

عنوان المقال : في صحبة الرسول –١–	الكاتب : أ. عصام العطار

وقد كان رسول اللّه ﷺ يَعُمُّ بحرصه واهتمامه ، ورأفته ورحمته ، الكبيرَ والصغير ، والغنيَّ والفقير ، والقويَّ والضعيف .. يفتقد من غاب ، ويعود من مرض ، ويعين من يحتاج ..

وقد روى لنا البخاريّ ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ (أي : تكنس) الْمَسْجِدَ ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أي : لم يعد يراها) ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا : مَاتَت . قال [معاتباً أو لائماً] : « **أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي** (أي : أعلنتموني وأخبرتموني) ؟ » فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا [أن يعلنوا رسول اللّه بموتها] ، فَقَالَ : « **دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا** » فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا.

ويبدو أن هذه المرأة السوداء لم تكن في الأصل من المدينة ، ولم يكن لها فيها أهل ولا عشيرة ، فافتقادُ الرسول لها ، وسؤالُه عنها ، وصلاتُه عليها ، إنما كان لذاتها لا لأجل أحد من الناس ، ومظهراً لحرصه على المؤمِنين كلِّ المؤمنين ، ولاحترامه للنفس الإنسانية ، ولإنسانية الإنسان مهما قَلَّ شأنُه في حياتِه ومجتمعه في نظرِ هذه المجتمعات.

ومن أروع ما يروع الإنسان وهو يرافق الرسول ﷺ في سيرته ، ويتأمّل في أقواله وأفعاله ومواقفه ، ما يُطْلِق عليه علماءُ النفس في عصرنا مصطلحَ : " المشاركة الوجدانية " ، فالمشاركة الوجدانية لا تتمثل في أكملِ صورِها في أحد كما تمثّلتْ في الرسول الإنسان محمد بن عبد اللّه.

كان ﷺ يُحِسُّ بإحساس الناسُ ويشعر بشعورهم ، فَيفرح لِفرحهم ، ويحزن لِحزنهم ، ويألم لألمهم ، ويَشُقُّ عليه ما يشُقُّ عليهم ، وينتبه لما لا ينتبه له غيره من هذه الأمور ، ويقترنُ الإحساس والشعور عندَه بالعمل لمسح الأحزان والآلام ، وإغناء الأفراح في الصدور والبيوت.

{ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** } [التوبة : ١٢٨]

روى البخاريّ في صحيحه عن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي** (أيْ : أخفّفُها) **كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ** ».

وروى البخاريّ ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « **إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ ، وَالْكَبِيرَ ، وَذَا الْحَاجَةِ ، وَإِنْ صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ ، فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ** ».

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٦ الموافق في ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٥ ميلادي

عنوان المقال : في صحبة الرسول –١–	الكاتب : أ. عصام العطار

وإلى القارئ العزيز الآن هذا الخبر الطريف ، والمشهد العجيب ، الذي ما روى مثله - في حدود معرفتي - التاريخ ، والذي ينبض بالعاطفة والحنان ، ويعبّر أبلغ التعبير عن فهم الطفولة والأطفال ، والحَدَبِ عليهم ، والشعور بشعورهم ، واحترام مقتضيات سِنِّهم ، ومعاملتهم على حسب عقولهم :

قال بعض الصحابة : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاتَيِ الْعَشِيِّ [الظهر أو العصر] وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ فَصَلَّى ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ [أيْ : أثناءها] سَجْدَةً أَطَالَهَا ، قَالَ [أي : راوي الخبر] فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ الصَّلاةَ ، قَالَ النَّاسُ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ !

قَالَ ﷺ : « **كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ ابْنِيَ ارْتَحَلَنِي** (أيْ : علا ظهري ، وركبني كما يُركب البعير) **فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ** » رواه النَّسائي وابن عساكر والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وبعد ؛ فنحن - يا قارئي العزيز - ما نزال في أول خطواتنا مع رسولنا العظيم ﷺ ، نسايره من خلال سيرته وهديه ، وقد تجاوزْنا - أو أوْشَكْنا نتجاوز - الصفحات المقسومة لمثل هذا المقال في " الرائد " .فلْنَقِفْ إذن عند هذا الحد ، ولْنُتابع السير مع رسول اللّه ﷺ ، ولْنُحاول أن نظفر بلمحات أخرى من أخلاقه وصفاته في العدد المقبل .. إن شاءَ اللّـهُ ذلك وأقْدَرَنَا عليه.